

المتاحف الطبيعية في مصر خط دفاع من التضرر البيئي

حدائق الحيوانات متنفس للعائلات في العطل والمناسبات



أعدت مصر اكتشاف المتاحف الحيوانية والطبيعية المحلية بعد أن ظلت مهملة لفترة طويلة ووضعتها على خارطة التطوير والتأهيل، مع اقتناع متأخر بإمكانية أن تلعب دورا في التوجيه بأهمية التوازن البيئي المختل، وتعزيز إيرادات السياحة الداخلية، ومواكبة موجة اهتمام عالمي بآثار التغير المناخي.



محمد عبد الهادي
كاتب مصري

رحلة إلى الماضي السحيق، ليشاهدوا كائنات تسيدت الكون لم يبق من هيبته سوى أجماعها الضخمة وأنيابها القاسية لأسباب ترتبط بثورات طبيعية أو تغير المناخ في المقام الأول، وكتابتها مصورا عن الأفراس وتنامي بنية الصيد من العصر الحجري وحتى البنادق العتيقة.

في مصر، متحفان رئيسيان متخصصان في الحيوانات أحدهما بالقاهرة والأخر بالإسكندرية، وعدة متاحف صغيرة في محافظات مختلفة تجمع بين الأغراض الترفيهية والبحفية والتاريخية في الوقت ذاته، وعانت في معظم الأوقات من الإهمال قبل أن تلتفت الحكومة لاستثمارها لخدمة السياحة الداخلية وأعدت الأموال على تطويرها. وتحاول الحكومة تقديم متاحف الطبيعة كمزارات أمام السياحة الداخلية والخارجية واستقدام الراغبين في معايشة أحياء الحياة المصرية القديم الكامل مع عناصر الطبيعة، مثل الحيوانات والطيور، وكانت حاضرة بقوة في معتقدات الفراعنة، سواء من خلال النحت أو اللوحات الجدارية، وخيلت بمقابر خاصة أحيانا.

وتسعى أيضا لاستثمار الشعبية الطاغية لحدائق الحيوان كمتنفس طبيعي للأسر في أوقات الأعياد والإجازات أو كنزهات أسبوعية في نقل الثقافة ذاتها إلى متاحف الحفريات والمحطات والهيكل العظمي التي تمتاز بعرضها مجموعات اندثرت من الطبيعة وتلبية نهم الصغار في التعرف على ما تحت جلود الكائنات وعبرها يمكن توجيه رسائل حول أسباب اندثار الكائنات والمخاطر الناجمة عن التلوث. ويضم متحف التاريخ الطبيعي بالإسكندرية في معروضاته نحو 600 قطعة، موزعة بين محطات الطيور والجوارح والتماسيح والثعابين وأسماك القرش، وبقايا عظام وقرور لمجموعة من الحيوانات البرية، بجانب العشرات من فضائل القوارض وأجنة الحيوانات الموضوعة في سوائل حفظ بيوسيفي وأصوات المعروضات الحقيقية لخلق معايشة كاملة لبيئة الغابة، بتذكرة لا تتجاوز قيمتها 5 جنيهات (أقل من نصف دولار).

وقالت مصادر بوزارة الزراعة المصرية لـ"العرب"، إن المتاحف



تنوع بيولوجي يخشى العالم فناءه



تجسيد لبيئة البحرية

فضاء لمعايشة بيئة الحيوانات

مختلفة. فالمتحف الجيولوجي الخاضع لوزارة البترول يحتوي بجانب الصخور والطبقات الجيولوجية على تشكيلة من جماجم الحيوانات المنقرضة وهيكل لديناصور عملاق ومجموعة كبيرة من الحفريات.

وتضم الجيزة المتاخمة للقاهرة، المتحف الزراعي الذي يخضع لإدارة وزارة الزراعة ويعرض محطات نادرة لغزلان وتاريخا للحياة القروية، لكنه يعاني إهمالا أفضى إلى تعرضه للسرقة أكثر من مرة، ليفقد 6 قطع أثرية، و3 قرون من هياكل خاصة لحيوان "وحيد القرن" ولسم يتم العثور عليها، ويرجح بيعها في ظل الطلب العالمي في السوق السوداء.

ويوجد أيضا متحف كامل للتماسيح في أسوان بجنوب مصر، هو الأول من نوعه، ويخضع لولاية وزارة الآثار، ويعرض 22 تمساحا من مختلف الأعمار والأحجام وثمانية أخرى محفوظة في توابيت ولغافس دفن، بجانب متحف للحيتان يتبع وزارة البيئة ويؤرخ لتأثيرات تغير المناخ من خلال الحفريات التي تم اكتشافها بالمحافظة ومتخصص في جذب السياح المعنيين بالبيئة.

وتتعلق الرؤية الجديدة للتوعية البيئية بتحويل المتاحف والمحميات لإرضاء جميع الأقطاب بما فيها الأسرة المصرية والطلاب والهواة والعاملين في مجال البيئة والحيوان من المتخصصين والباحثين والسائحين، في إطار دور يتعلق بتنمية الوعي بالحفاظ على الحياة البرية بشكل عام.

وأشار بكر محمد، مدير محمية وادي دجلة، لـ"العرب"، إلى أن الجهود الجديدة تساهم في زيادة الوعي البيئي الذي يظهر في متاحف الحيوان، وأعداد المهتمين بزيارة المحميات. فالمحمية التي يديرها على سبيل المثال شهدت رقما قياسيا في معدل الزائرين بنحو 125 ألف شخص خلال عام واحد، التزموا جميعا بإشراطات الزيارة وأهمها "لا تأخذ أشياء معك.. ولا تترك أشياء خلفك".

وتحتوي متاحف الطبيعة معروضات غريبة تحمل رسائل غير مباشرة من بينها مجموعة من الأقفال القديمة التي استخدمت في غلق أبواب وأقفال حدائق الحيوان المحلية على مدار عمرها الذي يتجاوز القرن، وربما تشير إلى حاجة العقول والتفتح والتفتيح إلى أن سلوكيات البشر البيئية تهدد مصيرهم.

بوزارة البيئة، أن مصر تبذل جهودا كبيرة للحفاظ على التنوع البيولوجي وقامت بتسجيل أكثر من 22 ألف نوع من النبات والحيوان منها 143 متوطنة ذات أهمية عالمية و103 منها مهددة بالانقراض.

وتضم مصر 110 أنواع من الثدييات، بينها سبعة أنواع متوطنة مثل قط المستنقعات والكيش الأزرق، و13 نوعا من الحيتان والدلافين وأكثر من 500 نوع من الطيور و109 أنواع من الزواحف والبرمائيات أكثرها عرضة للانقراض السلحفاة المصرية والتمساح النيلي، والأنواع التي تتفق منها يكون مصيرها المتناقص.

وأضاف حمادة لـ"العرب" أن أبرز آثار التغيرات المناخية التي عانت منها مصر كانت فقدان الوان الشعب المرجانية في البحر الأحمر عام 2007 لأول مرة، وتقلص انتشار العديد من النباتات الطبية في جبل سانت كاترين وفراشة سيناء الرقاع التي تعتبر الأصغر في العالم.

وتملك مصر ما يؤهلها لإنشاء مؤسسة ضخمة معنية بالتاريخ الطبيعي تضم الملايين من القطع، لكن عقبات بيروقراطية تقف في الطريق، مع وجود الكثير من المتاحف الصغيرة بها قطع نادرة وتخضع لولايات إدارية



يرتاد متحف الحيوان بالجيزة عدد لاقت من الزوار باعتبارها الأكبر من حيث الحيوانات التي تتجاوز 2365 قطعة من الثدييات والزواحف والطيور

تناقص مستمر

تحاول المتاحف الطبيعية ربط التناقص الحاد في بعض السلالات الحيوانية بالسلوك البشري، عبر الاهتمام بعرض تطورات أنواع الصيد بداية من الأدوات الحجرية والحراش والنصال المعدنية، وحتى مجموعة نادرة من البنادق والمسدسات، كان يتم تصنيعها خصيصا لفاروق الأول، آخر ملوك مصر، بغرض صيد الحيوانات البرية والطيور الجارحة.

ولا تخلو من التذكير بالمكانة التي تمتعت بها الحيوانات في فن التحنيط المصري القديم، والمطالبة بتكرار السلوك ذاته، فمتحف الجيزة يعرض في مكان بارز تمساحا منمنا يرجع تاريخه إلى 7 آلاف سنة مع الإشارة إلى تقديسه من قبل القدماء كمعبود يحمل الاسم "الإله سوك".

وتعد الحكومة المصرية مشروع قانون أكثر صرامة لمنع الاتجار غير المشروع في الحياة البرية مع وضع برامج إكثار للأنواع المهددة بالانقراض، وإعادة إطلاقها في بيئتها الطبيعية، وبرامج التوعية والتثقيف البيئي للمجتمع، لتوضيح أهمية البيئة وكيفية الحفاظ عليها.

وأكد أيمن حمادة، مدير عام تنوع الأنواع والأجناس بقطاع حماية الطبيعة

وتشير طريقة العرض بالمتحف الذي يعود تاريخ إنشائه إلى عام 1906، تساؤلات حول نظرية داروين للتطور بجمعه الهياكل العظمية للبشر والشمبانزي وإنسان الغابة داخل مكان واحد، ليتمكن الباحثون من التفكير العميق والمقارنة بين أحجام الرؤوس وتطور عظام الفك، وفتح نقاش حول الارتباط الجيني بين البشر والقرود العليا.

تأخذ الكثير من المعروضات وضعيتها الهجومية في الطبيعة لتظهر نوعا من التنوع البيولوجي الذي يفترض توافره في بيئته الطبيعية يتباين مع الكائنات العضوية الحية التي تعيش مع بعضها في النظام الإيكولوجي، فافواه الأفاعي مفتوحة وأنياب المفترسات بارزة تنتظر الهجوم، لكن لا يزال العرض خاليا من المعلومات التفصيلية عن البيئة الأصلية للحيوانات وتاريخ تحنيطها ومدى ندرته في الطبيعة والعوامل المرجحة للانقراض.

وتتمثل مجموعة الفراشات الملونة المعروضة بمتحف الجيزة توكيدا على المخاطر التي تواجهها في العالم مع انخفاض أعدادها بقرابة الـ30 بالمائة وتعرض بعضها للانقراض، في رسالة على أن الهدوء النفسي والراحة اللذين توفرهما بين كمية الأنياب والقرون الغليظة التي يكتظ بها المتحف مع ويحتاجان إلى وعي في التعامل مع المبيدات.

الطبيعية ظلت طوال عمرها تعاني الإهمال، فميزانيتها كانت جزءا من حديقة الحيوان الملحقة بها، واقتصر معظم نشاطها على استئثار الحيوانات النافقة، بدلا من دفنها قبل أن تلتفت إلى معدلات الزيارة التي تحققها الأماكن المشابهة خارجيا.

تمثل سياحة الحياة البرية نسبة تتراوح بين 20 و40 بالمائة من إجمالي صناعة السياحة العالمية التي يقدر حجمها بنحو تريليون دولار أمريكي سنويا، وتتضمن ما يقرب من 900 ألف حيوان، بمختلف أنحاء العالم، وتسعى مصر لاقتناص جزء من عكستها.

وتكتسفت المصادر أن الخطط الموضوعية حاليا تسير نحو تحويل متاحف الطبيعة إلى مؤسسات ثقافية تعليمية توفر المعلومات الصحيحة والمتنوعة عن منظومة البيئة من حيوان ونبات، بداية من التصنيف العلمي والمعيشة والبيئة المحيطة وكيفية الإيواء والسلوكيات في العالم الحقيقي.

منافسة عالمية

تحلم مصر بإحداث نقلة في سياحة المتاحف الطبيعية لديها، واستثمار امتلاكها كمية ضخمة من الحفريات وهيكل الحيوانات المنقرضة على أصل وضع قدم في ملعب السياحة المتحفية العلمية عالميا، وصولا إلى تجارب مشابهة بمتحف "فيينا" و"السمبسونيان" في واشنطن اللذين يغلب عليهما التاريخ الطبيعي.

تنامي التوجه نحو الاهتمام بالسياحة البيئية والعلمية بعد اكتشاف فريق بحثي من جامعة المنصورة بديناصورات أطلقوا عليه "منصوراوسورس" في أثناء رحلة استكشافية في الصحراء الغربية، ما يؤكد الارتباط القديم بين قارتي أفريقيا وأوروبا، والأعداد الكبيرة التي تجتذبها محمية وادي الحيتان في جنوب غرب القاهرة، وتضم عشرة هياكل كاملة لحيتان كانت تعيش في تلك المنطقة قبل نحو 40 مليون سنة.

وتشهد متاحف الحيوانات في مصر إقبالا مع ظهور سلوكيات مستحدثة لبعض الكائنات تم ربطها باختلال التوازن البيئي، فالمعلومات عن الثعابين ومعرفة أشكالها من أكثر الموضوعات بحثا، بعد الهجمات الشرسة التي شنتها على أماكن غير معتادة في عواصم المدن. ويرتاد متحف الحيوان بالجيزة، الذي يتألف من 3 طوابق، عدد لاقت من الزوار، باعتباره الأكبر من حيث المساحة والمعروضات التي تتجاوز 2365 قطعة من الثدييات والزواحف والطيور، وعرضه محطات لحيوانات نادرة ومنقرضة مثل الغزال المصري الأبيض والنمر السيناوي وفصيلة من أكل النمل انقرضت وتم تحنيطها.